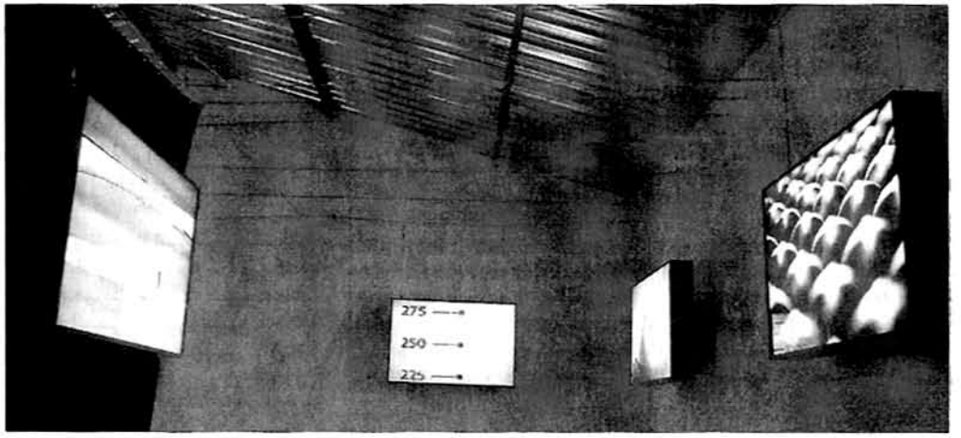

تصوير حسن عسل

"العملية رقم 9" تجهيز فوتوغرافي لنويل نصر

لماذا تحتفظ الضحية بالشظية التي أصابتها؟

معرض

عندما نبدأ بنسيان خطايانا يبدأ الآخرون بالتذكر. عندما يتحول الألم إلى نوع من الجمال يصبح أيقونة، والأيقونة تصبح زمناً يمر. وعندما يتحول الجمال الى حنين، يصبح وقتاً من الألم نتمسك به لكننا نعلم أنه قصير جداً. بين الذاكرة والألم، بين الاحساس بالذنب والنسيان، مسافة طويلة من المعاناة. يحاول خلالها نويل نصر أن يبني عالمه البصري، أو يبني عالماً يشاركنا إياه، في معرضه "العملية رقم 9"، الذي يتخذ شكل التجهيز الفوتوغرافي في "هنغار أمم" في حارة حريك.

نويل نصر، المولود في حارة حريك في بدايات الحرب اللبنانية، عام 1978، ترك مسقطه إلى بعبدا عندما اضطر مع عائلته إلى ذلك. يبدو هذا الأثر الأول للحرب ظاهراً عليه. فهو يعود في هذا المعرض إلى بلدته، قاصداً أو من غير قصد، حاملاً "عمليته رقم 9" للتذكير بالحرب وآثارها، طارحاً السؤال مجدداً: "هل انتهت الحرب؟"، أو بشكل أكثر وضوحاً. كما يأتي في النص المرفق بالمعرض: "النسيان سبيلنا الأقصر إلى تكرار الحرب؟".

نبدأ بقراءة المعرض من الملصق، حيث اسم العمل والفنان فوق صورة بالأبيض والأسود لحذاء شتوي على سجادة تحتضنه مادة حديدية سوداء. الملصق لا يعلن الموضوع بل يكتفي بالإيحاء، إيحاء الدفء، والفراغ أو التخلي. تبدو الصورة أليفة وجميلة، الانحناءات الدائرية تشي بالاستقرار والسكينة. هذا ما ينبىء به الملصق، كإحساس حميمي وقريب لتفصيل متروك على الأرض. ندخل المعرض في ممر تنتشر على حيطانه صور مضاءة من الخلف، على طريقة الإعلانات. صور ذات ألوان وخطوط قوية مشغولة، كأنها في بحث عن الجمالية الشكلية، على مدى المساحة الواضحة من الصور، القريبة جداً من أشياء وأغراض تستنفر المشاهد كي

يبحث لها عن معان، فتبدو كأنها نوع من الاستفزاز البصري. نترك هذا القسم إلى قسم آخر، داخلي وأكثر حميمية، فنجد أنفسنا أمام شاشة فيديو تعرض خلال ست دقائق صوراً عن الحياة اليومية لشخص ما، تحاول أن تؤرخ للحظة التي التقطت فيها تلك الصور، كأنها لتلتقط الوقت والاحاسيس، معروضة على خلفية سوداء مريحة للنظر وتدعو الى التواطؤ وإنعام النظر. في هذا القسم يورّط نويل نصر مشاهده في حال من الرؤيوية، كأنه يحرضه على مراقبة الحياة اليومية لشخص مريض، مصاب، معوق ومشوّه. يلتقط نصر في هذا القسم صور الأشياء والأغراض نفسها التي استخدمها في القسم الأول، تاركاً إياها على حقيقتها: شظية، أنبوب، كرسي مقعدان، قطن للتعقيم...

بين القسمين الأول والثاني نقع على جوهر العمل وماهيته: محاولة جمالية لالتقاط التناقض بين النسيان والتذكر، بين تجميل الواقع عبر تشويهه، وعرض الواقع المشوّه كما هو.

بعيداً عن القيمة الجمالية للصور، والتي لا تأتي بجديد على صعيد التقنية، فإن أهمية التجربة تكمن في استثمار المصوّر لعلاقته الشخصية التي يصوّرها، أو التي يصوّر محيطها، بالطريقة التي تعمل فيها المصورة الفرنسية صوفي كال. يبتعد عن الشفقة، نحو نوع من التوثيق. يلتصق بقيمة الوقت وبمدى أهميته لدى شخص سوف يخضع لعمليته التي تحمل الرقم 9، بعد اثنين وعشرين عاماً على إصابته خلال الحرب. يجبرنا الشريط على احترام الزمن الذي تعرضه الصور، وعلى توجيه النقد إلى العمر الذي أمضيناه في محاولة نسيان الحرب وعواملها.

من اجل ان ينهي نويل نصر عمله، ويوقعه، يضيف متحفاً صغيراً لتلك الأشياء والأغراض البسيطة التي تتسبب بالألم للشخص الذي هو موضوع معرضه: الشظية التي أصابته، الأنبوب الذي يستخدمه في العلاج كل يوم، والصورة الوحيدة له واقفاً على رجليه. تبدو هذه الأشياء هي الأكثر قيمة، أما المفارقة فتظهر بين بشاعة الألم وتعلقنا بالأشياء التي تتسبب به: "لماذا تحتفظ الضحية بالشظية التي أصابتها؟".

بين حميمية الملصق وسكينته، ضوضاء القسم الأول وأضوائه، وواقعية القسم الثاني وقسوته، يبدو لي القسم الأخير هو الأقوى والأكثر قدرة على نقل السؤال الفني إلى مكان أكثر جدية. سؤال قد يطرحه نويل نصر على نفسه: "لماذا يعود بعد ثلاثين عاماً إلى حارة حريك، وكيف؟". سؤال عن قيمة الألم وقدرته على البناء. هل علينا أن نتألم كي نختبر الألم نفسه ونكرّسه عنصراً جامعاً للمتفرقين؟

علي زراقط